

تجلي "نظرية القراءة و التلقي" عند "الغذامي"

The Manifestation Of "The Theory Of Reading And Reception" According To "Al-Ghadami"

بويكر بن عامر¹، بوسماحة مويسي²Benameur Boubakr¹, Mouissi Bousmaha²1 جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، boubakar_08@yahoo.fr2 جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، moiubous@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/05/16

تاريخ القبول: 2023/10/30

تاريخ الاستلام: 2023/02/07

الملخص: يهدفُ البحثُ إلى الكشف عن آلية من آليات الخطاب النقدي عند "عبد الله الغذامي" من خلال توظيفه "نظرية القراءة و التلقي"، كما يحاول الإجابة عن الإشكاليات الآتية: ما هي حالات تلقي النصّ عند "الغذامي"؟، كيف استطاع توليد حالة تلقيّ ثالثة سمّاها حالة "الانفعال العقلي"؟، تُضافُ إلى حالات التلقي الثابتة و هي حالة الإقناع و حالة الانفعال، ما أهميّة القارئ في صناعة معنى النصّ؟ و أخيرا ما هدف "الغذامي" من خلق حالة التلقي الجديدة؟، و لعلّ أبرز ما توصّل إليه البحث من نتائج هو دعوة "الغذامي" إلى تأسيس نهج جديد في القراءة، يقوم على حالة التلقي الجديدة (الانفعال العقلي)، و هي حالة وجدّ فيها "الغذامي" ما يلائمُ المنهج التّشريحي الذي اختاره لقراءة النصوص الشعريّة الواردة في متن البحث، و لعلّ أبرز ما نوصي به هنا هو إعطاء الموضوع المزيد من العناية و الاهتمام خاصة رصد حالة التلقي الجديدة هذه في أعمال الغذامي النقديّة و غيرها لتتضح الصّورة أكثر.

كلمات مفتاحية: نظرية، القراءة، التلقي، الانفعال العقلي، القارئ، معنى النصّ، المنهج التفكيكي، التّشريحي.

Abstract: The Current Research Aims to Reveal a Mechanism of the Critical Discourse of "Abdulla Al-Ghadami" Through the Employment of his Theory of "Reading and Reception". Adding to the Existing Reception States (the State of Persuasion and State of Emotion), this Study Aims to Reveal a Third State of Reception in Al-Ghadami's Texts Which is Called "Mental Agitation". Besides, it Discloses the Importance of the Reader in Creating the Meaning of the Text According to a Specific Reading. Finally, it Points Out the Aim of Al-Ghadami in Creating a New State of Reception Which he Deems Appropriate for his "Deconstructive Approach" that is Presented in Most of his Critical Writings; The Most Important Thing We Recommend here is Giving the Subject More Care and Attention, Especially Monitoring this New State of Reception in Al-Ghadami's Critical Works and Other Works, So That the Picture Becomes Clearer.

Keywords: Theory, reading, reception, mental emotion, the reader, the meaning of the text, the deconstructive.

المؤلف المرسل: بويكر بن عامر، الإيميل: boubakar_08@yahoo.fr

1. مقدمة:

يحفل تراثنا بالكثير من الممارسات النقدية الأدبية، و التي تُعدُّ ركيزة في الدّراسات النّقدية الحديثة منها نظريات و مناهج، و من بين أبرز تلك النظريات و المناهج و التي ظهرت في مرحلة ما بعد البنيوية و التي يُحاولُ البحثُ رصدُها " نظرية القراءة و التّلقي" و "المنهج التّشريحي"، و تتلخّص أبرز إشكاليات البحث في: ما علاقة التّفكيكية بنظرية القراءة و التّلقي ؟ ، ما هي حالات تّلقي النّصّ عند الغدّامي؟، كيف استطاع "الغذامي" استثمار "نظرية القراءة و التّلقي" خدمةً لمنهجه الأساس " المنهج التّشريحي"؟، ما دور القارئ في صناعة النّصّ؟ هذا ما يهدف البحث الإجابة عنه لذلك كان منهج البحث المناسب هو المنهج الوصفي التّحليلي، و قد اشتمل الدراسة على مقدّمة احتوت أبرز إشكاليات البحث، ثمّ العرض حيث كانت الإجابة مشفوعةً بنماذج تطبيقية، و أخيرا الخاتمة التي شملت أبرز نتائج البحث

2- علاقة التّفكيكية بنظرية القراءة و التّلقي:

أ- التّفكيكية La Deconstruction: الخلاصة أنّ التّفكيكية في روحها و فلسفتها جاءت لزعزعة و خلخلة المفاهيم التي تمكّنت من الثّقافة الغربية و أصبحت في حكم المسلّمات، بهدف بيان زيفها و تقويضها في النهاية، كما فعلت مع "مفهوم الحضور" و "المراكز المبدّلة" و "مركزية العقل" و "مركزية اللّغة"، و حلّت الرّباط الوثيق المقدّس و السّاذج في الوقت نفسه بين " الدّال و المدلول"، و في ما يتعلّق بالتّصوص حاولت التّفكيكية أن تخلخلها بالكشف عن التّماسك الزّائف الذي تُحاول أن تظهر به، و عن وهم استقرار المعنى الذي تُحاول أن توحى به، و قد أثبت التّفكيكيون و على رأسهم "بارث" أنّ النّصّ يُحقّق حدّا غير قابل للتّحجيم من الدّلالات الكلية، و لذا فهو غير قابل للانغلاق أو التّمرکز (الغذامي، الخطيئة و التّكفير، صفحة 64)

إنّ القراءة التّفكيكية ليست هي التي تقول ما أراد القول قوله، بل تقل ما لم يقله القول وليس في قولنا طلامس ولا سحر ولا شعوزات ولا لعب على الألفاظ، والقراءة بهذا المعنى تتيح تجدد القول، أي قراءة ما لم يقرأه المؤلّف، وهذا معنى قول التّفكيكيين أنّ النّصّ ينطوي على فراغات، لأنّ النّصّ في حقيقته تكوّن من المتاهات وهكذا يبنى النّصّ على الغياب والنسيان الأعلى الحضور والتذكّر والغياب هو غياب الجسد والدال والحجب هناك يلجأ إليه المؤلّف عمدا، لسبب من الأسباب ولكنه أيضا حجب يتم من دون قصد المؤلّف، بسبب مضامين أيديولوجية تتسرب إلى النّص، ويقتصر تأثيرها على تغليف الحقيقة بقشرة خارجية أو جعل ما ليس بحقيقي تعلقا من خارج (درويش، صفحة 221).

وهكذا فإنّ التفكيكية تعطي السلطة الحقيقية للقارئ لا للمؤلف كما تدعو إلى تشتت المعنى بتخليص النص من القراءة الأحادية وتدعو التفكيكية إلى موت المؤلف وميلاد القارئ وتعتبر النصّ جملة من النصوص السابقة أو إقصاء لنصوص متعددة (التناص).

ب- نظرية القراءة وجمالية التلقّي: تجعل هذه النظرية من القارئ عاملاً أساسياً في إنتاج المعنى من النصّ و أداةً لتحقيقه، و في الوقت نفسه تقف من النصّ بوصفه إطاراً يتحقّق فيه وجود القارئ عبر ما يؤدّيه من مهارة قرائية، و العلاقة بهذا الشكل تأخذ طابعاً جدلياً يتجسّد عبر الاحتواء التبادلي بين العنصرين: القارئ و النصّ، فلا النصّ يمكن أن يجد حقيقته في معزل عن القارئ و لا القارئ يمكن أن يؤدّي دوره دون النصّ. (العزير، صفحة 344)

لقد عنيت الدّراسات النّقدية في مراحلها الأولى بالمؤلف في قراءة و تفسير الأثر الأدبيّ: «فأوضح أسباب وجود العمل الفنّي وجود صانعه المؤلّف، لذلك كان إيضاح العمل من خلال شخصية الكاتب و حياته من أقدم مناهج الدّراسة الأدبية و أقواها» (ويليك، صفحة 93) تنبّى هذا الاتجاه المناهج النّقدية السّياقية كالمنهج النفسي، التّاريخي و الاجتماعي

«أمّا الاهتمام بالقارئ و نظرية التلقّي، فقد جاء بها النّقّاد الألمان من جامعة "كونستانس"، فهم من نادوا بجمالية التلقّي أو جمالية القراءة، و على رأسهم "ياوس" و "آيزر"، و"التفكيكية" التي عدّت النصّ عديم القيمة من دون القارئ» (الرّزّاق، 2016، صفحة 161)

تعدّ نظرية القراءة وجماليات التلقّي أبرز اتجاه نقدي ظهر في مرحلة ما بعد البنيوية وقد أعادت هذه النظرية بآلياتها الاعتبار للنص وقارئه، لأنّ النص لا يوجد إلّا بوجود متلقي منتج، كما تهدف نظرية التلقّي إلى تغيير النظرة نحو عملية القراءة من الاستهلاكية إلى الإنتاجية

و من هنا تظهر العلاقة بين "المنهج التفكيكي" أو كما يُسمّيه "الغذامي" بـ"التّشريح" و "نظرية القراءة و التلقّي" في أنّهما كليهما يهتمّان بالقارئ و يُعيدانه إلى التّالوث الفاعل في فهم الأثر (النصّ، المؤلّف، القارئ)

لقد نشأت نظرية التلقّي بفضل عوامل عديدة حصرها "روبرت هولب" في: الشكلائية الرّوسية، بنيوية براغ، ظاهراتية رومان انجاردن، و تأويلية هانز جورج جادامير، و سوسيولوجية الأدب (هولب، 1992، صفحة 28).

و أضاف "عبد الله إبراهيم" عنصراً سادساً ساهم في ظهور النّظرية، وهو "نظرية الاتّصال": «و مع الأخذ بالاعتبار المؤثرات التي تركها الشكلائيون الرّوس و مدرسة براغ، فضلاً عن انجاردن و جادامير في ظروف نشأة نظرية التلقّي فإنّها كانت في الحقيقة مدينة لذلك النّشاط العارم الذي بلورته نظرية الاتّصال» (إبراهيم، 2000،

صفحة 8)

تُعَدُّ نظرية القراءة و جماليات التلقّي أبرز اتجاه نقديّ ظهر في مرحلة ما بعد البنيوية، فقد أخذت على عاتقها انتزاع السلطة من النصّ و منحها للقارئ و تفعيل دوره ضمن مغامرة القراءة، و بذلك أصبح القارئ/المتلقّي هو منتج النصّ و مستهلكه في آن واحد، فحضوره و قراءته للنصّ هو وجه من وجوه إثبات وجود النصّ، و قد كان لتغيّر مركز السلطة من النصّ إلى القارئ دور في إثارة نقاشات حادّة في أوساط النقاد لا سيما أنّ هذه الوضعية الجديدة استطاعت أن تُعيد صياغة حركية العملية الإبداعية، بحيث كانت عملية القراءة موجّهة من المؤلّف إلى النصّ إلى القارئ، و مع ظهور نظرية القراءة أُعيدت صياغة عملية القراءة فصارت من المؤلّف الذي لا وجود له (موت المؤلّف) إلى القارئ (فاطمة، 2014، صفحة 161)

إنّ عملية "التلقّي"، في أوضح مفهوم لها، هي عملية مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقّي و النصّ...و كانت أهمّ نقلة قامت بها هي التحوّل من قطب المؤلّف-النصّ/ إلى قطب النصّ -القارئ (الرزاق، 2016، صفحة 158)، و لهذا قيل إنّ نظرية القراءة و التلقّي قد أعادت بآلياتها الاعتبار للنص وقارئه.

و لأنّ المقال يبحث في تجليّ "نظرية القراءة و التلقّي" عند "الغذامي"، نكتشف هنا عن اعتماد "الغذامي" في كتابه "النقد الثقافي"-و الذي يُفترض أن يبتعد عن النقد الأدبيّ إلا في الإشارة إلى أنّ الثقافي جاء بديلا عن الأدبيّ- نقول اعتمد على "نظرية القراءة و الاستقبال"-كما أشار الغذامي- أو كما تُسمّى بـ"نظرية القراءة و التلقّي" أو "نظرية القراءة و التّقبّل" في إطار نقده للحدّاث العربية من منظور النقد الثقافي، حيثُ تبيّن أنّ "الغذامي" و رغم كلّ الأطر النظرية التي مهّد بها في كتابه "النقد الثقافي" لمشروعه النقديّ الجديد، و كل الإجراءات النقدية التي أشار إليها كركائز للقراءة النقدية الثقافية و منها مفهوم الجملة الثقافية، و النسق المضمّن.... و غيرها، و رغم تأكّيده على أنّه سيقراً الحدّاث العربية من منظور النقد الثقافي الذي دعا إليه بديلا عن النقد الأدبي، نجدّه لم يستطع الخروج إجمالا من عباءة النقد الأدبي، و اعتمد هنا على نظرية من نظريات النقد الأدبي الحديث، يقول:

«على أنّ من المهمّ أن نُشير إلى أنّ النسق لا يتحرّك على مستوى الإبداع فحسب، بل إنّ القراءة و الاستقبال لهما دور مهم و خطير في ترسيخ النسق، و من المؤكّد أنّ "نزار قبّاني" كان صنّيعا القراء مثلما هو مبدع لنصّه، فاستقبالنا لنزار و حماسنا لشعره كان سببا لشيوعه من جهة، و كان سببا لاستمراره في كتابة ذلك النمط الشعريّ من جهة ثانية، كما أنّ تقبّلنا لهذا الخطاب كان يخضع لدوافع نسقية تُحرّك ذائقتنا و تتحكّم فيها و تُوجّه خياراتنا، ممّا يعني أنّنا نتاج نسقيّ و أنّنا كائنات نسقية، و نشترك كلّنا في صناعة النسق مثلما نشترك في الانفعال به» (الغذامي، 2014، صفحة 247) و الاستقبال و التّقبّل هما رديفان للتلقّي

يبدو أن مفهوم (نظرية التلقي) في المدرسة الألمانية مصطلح مفرد في الظاهر، إلا أنه في البنية العميقة يعمل كبوقة، ينصهر في داخلها مفهومان، لكل واحد منهما منظوره و أصوله و إجراءاته، فهما شقان مختلفان و متكاملان في الآن نفسه، إذ أن أحدهما يُكْمَلُ الآخر، و هذان المفهومان هما (جمالية التلقي) و (جمالية التأثير)، يتعلّق الأول بالاتجاه الذي وضعه "هانز روبرت ياكوس"، أما المفهوم الثاني فوضعه أحد أقطاب مدرسة كونستانس "فولفغانغ آيزر"، فيكون مفهوم (نظرية التلقي) مصطلحا شاملا يولّف بين مشروع (ياكوس و آيزر) إن إشارة "الغذامي" إلى أن "نزار" هو صنعة القراء، أي القارئ المتلقي الذي كان يقرأ و يستقبل شعر "نزار" بإعجاب كبير، يُحيلنا إلى معالجة "ياكوس" النصّ « من خلال نظريته الجديدة في التاريخ التي تقوم على الاهتمام بالمتلقي باعتباره الطرف الفعّال و بتاريخية التلقي (تاريخ الأدب) عند "ياكوس" و هو لا يعني به تاريخ نصّ الوقائع الأدبية، إنّما التاريخ الذي يعمل كمقياس لقياس التأثيرات التي يُولّدها عمل ما عند جمهور ما (المتلقي الأول)، ثم تتوالى سلسلة القراءات، و مع كلّ قراءة جديدة يقوم المتلقي بقياس الأعمال المهمة على وفق آراء السابقين من النقاد في (النصّ) و من ثم تجديد التلقي عن طريق الحذف و الإضافة و التعبير، ثمّ مقارنتها مع القراءات السابقة، و من ثمّ تجديد تاريخ الأدب.... » (الرزاق، 2016، صفحة 162)

3. حالات تلقي النصّ عند "الغذامي":

و بالعودة إلى "الغذامي" في كتابه "تسريح النصّ" نجدّه يُقسّم حالات تلقي النصّ إلى حالتين مألوفتين، و يصلّ إلى توليد حالة ثالثة، يقول: « تعودنا-نظريا- على تقسيم حالات تلقي النصّ إلى حالتين، هما: حالة الإقناع و حالة الانفعال، و لكن يبدو -اليوم- و كأننا في مواجهة مع معادلات نصّوصية مختلفة تستلزم منا إعادة تصنيف حالات التلقي لدينا، و هي حالات أراها قد أصبحت ثلاثا، الأولى: أولية تقليدية، و هي حالة (الإقناع)...أما الثانية: فهي أولية-أيضا-و تقليدية و هي حالة (الانفعال)...، فالنصّ العقلي الهادف للإقناع يكون فكرا، أما النصّ الهادف لإثارة الانفعال فهو شعر و أدب، أي أنّه نصّ جماليّ قُصِدَ منه أثره على النفس و ليس ما فيه من منطق دلاليّ أو معنى ظاهريّ » (الغذامي، 2016، الصفحات 51-52)

ثم ذهب "الغذامي" إلى عقد مقارنة بين قصيدة "أغنية لجدة" لـ "حمزة شحاتة"، و قصيدة أخرى لـ "عبد الله الصيخان" يُخاطب فيها وطنه، ليستنتج من خلال هذه المقارنة حالة التلقي الثالثة « لا معضلة في التفاعل مع الأولى لأن الشاعر يسعى إلى إيداع حسّه الجماليّ في شعره، ليثير في نفوسنا انفعالا مماثلا... فنصّه يهدف إلى إثارة الانفعال، و ليس لدينا أيّ مشكلة هنا... أما نصّ "الصيخان" تتوقّف حالة التلقي فيه حائرة، لأنّه ليس نصّا عقليا يهدف إلى الإقناع، كما أنّه ليس نصّا انفعاليا، لأنّ الانفعال حالة فطرية حسّية، من طبيعتها المباشرة و السرعة

و التلقائية، و لو عالجتنا هذا النصّ على هذين المستويين لتمنّع علينا تقبله كنصّ جميل أو كنصّ عقليّ» (الغذامي، 2016، صفحة 52)

يرى "الغذامي" أنّ نصّ "عبد الله الصيخان" «يعتمد على مستويات دلالية متضاعفة، و ذلك لأنّه قام على انتهاك قواعد الصّرف النّوصيّ التّقليديّ في إبداع الشّعْر: انتهاك قواعد الوزن و قواعد التّركيب السّياقي، حيث قام على جملة شعريّة متمدّدة تمازج فيها بحرّان عروزيّان هما المتدارك و المتقارب، مثلما انتهاك قواعد التّناسق الدّلالي، إنّ الشّاعر هنا يبني دلالة سياقية فيها ينبثق وطن جديد لم يكن بعد، وهذا يتطلّب منا إسهاما في إقامة الدّلالة و تخيلها، إنّّه لا يصف لنا وطنًا-كما فعل شحاتة-و لكنّه يرسم لنا صورة تخيلية لشيء محتمل» (الغذامي، 2016، الصفحات 54-55)

إنّنا أمام صورة شاردة أطلقها الشّاعر و أرسل فيها عناصرها المكوّنة من الأنا المبدعة/ و المخاطب "الوطن"/و العصافير/و السّماء، و هذه تتداخل بعضها مع بعضٍ في علاقات من: الوجع/و النّوى/ و الخشوع/و التّعزّب/و الخوف/و الشّكّ/و تتقاطع معها موجات دلالية من: اعتذار المحبّين/و محيا الوطن/ و السلوة/و رغيّف الفقير/و البسيط/و الشّجر/و الهدوء/و الشّهادة/و يلفّها أجواء من مساء التّعزّب/و الصّبح/و اتّساع العينين/و فضاء البياض/و الضّوء إذ يستدير الحلك (الغذامي، 2016، صفحة 55)

لقد سمّى "الغذامي" هذه العناصر بالإشارات و هي نفس التّسمية التي اعتمدها حينما درس قصيدة إرادة الحياة للشّابّي سيميولوجيا، يقول: « هذه الإشارات المتصارعة خارج النصّ، تدخل في النصّ ليقيم لها الشّاعر سياقات تشبكها في علاقات لم تكن لها في الخارج، ممّا يجعلنا أمام دلالة تتشأ من داخل النصّ، و لا تستند إلى أيّة براهين خارجية، و هذا يُحتمّ علينا أن ننظر إلى هذه الجملة الشعريّة بمنظار يستجيب لإبداعها، و لا يفرض عليها قيما سابقة عليها، و من هنا فإنّنا نصل إلى ما أراه نوعا جديدا من حالات التّلقي النّوصيّ، و هو الحالة الثّالثة: و هي حالة "الانفعال العقلي" إنّها حالة انفعال، و هذا يضمن للنصّ شرط وجوده الجماليّ، و لكنّه ليس انفعالا عاطفيّا، و إنّما هو انفعال عقليّ، أي أنّ العقل يسعى لكي يستعير من العاطفة إحدى صفاتها و هي الانفعال...» (الغذامي، 2016، صفحة 55)

إذا تُوجز حالات التّلقي عند "الغذامي" كما أشار إليها في كتابه "تّشريح النصّ" إلى ثلاث حالات هي: حالة الإقناع/و حالة الانفعال/تّم حالة الانفعال العقلي

و لتعليل ما ذهب إليه يقول: « إذا نحنُ أمام ثقافة نصّوصية جديدة تفرض علينا موقفا جديدا و هو موقف تّم اكتسابه حضاريا بأسلوب بنيوي هرمي، حيث مارسنا تاريخيا تلقّي أنماط شعريّة متباينة و متنوّعة، أطولها باعا

هو "العمودية" و هي-كما حدّدها "المرزوقي"-قصيدة نقول، نقول عن الشّاعر و تعني و تنصّ فيما نقول، و على ما نقول...إنّها تعتمدُ على المحاكاة...و دور القارئ فيها دور استهلاكيّ، إنّهُ يتلقّى النّصّ بمعانيه و صياغته ليحدّد فيهما المعنى الجليل في اللفظ القليل، و شعزنا العموديّ مع ما صاحبه من نقد يؤكّد ذلك و يُقرّره» (الغذامي، 2016، صفحة 56 57)

و يُقابل العمودية-في هذا العصر- و يتعارضُ معها قصيدة الوجدان الدّاتي: القصيدة "الرومانسية"، و هي تختلف عن العمودية التي "تقول" لأنّ هذه "تعبّر"، و هذا التّعبير هو عن الدّات المبدعة، فهي كالعمودية انعكاس لعالم، و لكنّه-هنا- عالم داخليّ، و تتحرّر القصيدة "الرومانسية" من سلطان العقل، و لكنّها تخضعُ بكليّتها لسلطان العاطفة، و محورها هو الوجدان الفرديّ، و يظلّ القارئ معها مستهلكا للنّصّ يتلقّاه لينفعل، أي أنّها ترتكز على الانفعال كتابة و قراءة (الغذامي، 2016، الصفحات 57-58)

يؤكدُ "الغذامي" على أنّ القارئ فاعل مشارك في صناعة النّصّ « و بعد ذلك تأتي القصيدة الحديثة لتُحاول تنمية الوجدان، لكي يُصبحَ وجدانا جمعياً مثلما تحاولُ تهذيبُ العقل ليكون انفعالياً، و من هنا يدخل القارئ بكلّ قواه العقلية و الوجدانية ليكون فاعلاً مشاركاً في صناعة النّصّ، فهو -هنا- يُتيحُ نصّاً، و ليس يستهلكُ قولاً أو يفعل بتعبير» (الغذامي، 2016، صفحة 58)

تجدد الإشارة إلى أنّ أهميّة القارئ في صناعة معنى النّصّ (عامر، 2018) تعود جذوره إلى القرن التّاسع عشر حين بيّن "لورنس ستيرن" اشتراك الكاتب و القارئ في المعنى الموجود في النّصّ حيث رأى أنّه « لا ينبغي للمؤلف أن يطمح إلى الإحاطة الفكرية الكاملة بالنّصّ، لأنّ الاعتراف بذلك الآخرين يفرضُ على المؤلّف أن يترك للقارئ حقّ بناء تصوّره الخاصّ للنّصّ » (Iser, 1985, p. 198)، لقد طفت نظرة الاهتمام بالقارئ إلى السّطح في ستينيات القرن العشرين حين وضع ناقدًا مدرسة كونستانس "ولفغانغ إيزر" و "هانس روبرت يابوس" مجموعة من الاستراتيجيات تُفعل تجاوب القارئ مع النّصّ و تبرزُ دوره الأساسيّ في بناء المعنى، استنادًا إلى جملة من خبرات المناهج السّابقة و إلى الإسهامات الفلسفية لـ "إدموند هوسرل" و "هانز جورج غادامير" و بعض منظري نظرية القراءة (لويار، 2021، صفحة 29) ، و سارت على ذلك كثير من الدّراسات التي تلتها لتؤكد دور القارئ في بيان حقيقة النّصوص، بل القارئ هو الموجدُ للنّصّ و لولاه لن يكون للنّصّ أي وجود، و سيكون بمثابة عمل غير مكتمل « لأنّ عملية الكتابة تستلزم عملية القراءة، و الجهد المشترك للمؤلف و القارئ هو الذي يبرز هذا الشّيء الملموس و الخيالي الذي هو عمل الرّوح، إذ لا فنّ إلا بالآخرين و للآخرين» (Iser, 1985, p. 199)

4. الغدّامي و القراءة التّشريحية (الدّعوة إلى تأسيس نمط جديد من القراءة):

إنّ التّساؤل الذي يعنّ لنا هنا هو ما المنهج الذي اختاره الغدّامي لقراءة الشّعر؟ و ما الآليات الإجرائية التي استند إليها كعناصر مساعدة للمنهج؟

يُشير "الغدّامي" إلى أنّنا « دلفنا مع النّصّ الجديد و بسببه إلى عصر ثقافيّ جديد هو عصر القارئ، و يكون الإبداع نفسه عملية قراءة للرّمن و للكون، و عاقد الرّبط هنا هو "التّشريح" النّصوصي إبداعا و قراءة، فالمبدع يُشرّح ذاكرته الحضارية مستندا إلى حسّه الجمعي بذاته و بعالمه الدّائر فيه عطاء و أخذاء، و "القارئ" يُشرّح النّصّ بناء على تلاحمه معه، بعد أن أصبح انبثاقا لغويا لعالمه الذي يشترك فيه مع "المبدع"، و مع الموروث الرافد للإبداع، و مع الحسّ الجمعيّ الذي صاغ فكره و وجدانه و تفاعل بهما مع النّصّ... » (الغدّامي، 2016، صفحة 59) و منه يُشير "الغدّامي" إلى المنهج الذي سيختاره و الذي يرى أنّه يتلاءم مع مقتضيات هذه القراءة التي تهتمّ بالقارئ، وتختار لها حالة التّلقي الثّالثة «و من هذا المدخل الذي أردتُ أن أسّس فيه مفهوم التّلقي الجديد الذي يقوم على الانفعال العقلي» و يستند إلى القارئ كمنتج للنّصّ و صانع لدلالاته -أخطو- الآن نحو مادّة هذا الحديث لأمارس وظيفة قرائية تقوم على تشريح النّصّ» (الغدّامي، 2016، صفحة 59).

و راح "الغدّامي" يمارس قراءته التّشريحية على نصوص شعرية لشعراء خمسة هم (الصيخان، الحربي، النّبيتي، غيداء المنفى، خديجة العمري)، و يربطها بقراءته التّشريحية لجملة شعرية للشاعر السّعودي "عبد الله الصيخان" (الغدّامي، 2016، صفحة 60 100)، منطلقا من حالة التّلقي الثّالثة التي سمّاها "الانفعال العقلي" «و من هنا صارت قراءة المنظومة الشّعريّة لكامل هؤلاء الشّعراء الخمسة منطلقا قرائيا مشروعا، بل هو منطلق حتميّ للوصول إلى مصداقية هذا الشّعر مع أعرافه الخاصّة به، و لهذا تصبح قراءة مثل هذا الشّعر قراءة انفعال عقلي، تتعامل مع السّياق الذي ينتظم هذه الوحدات كلّها و يُحرّكها، و هذه الحركة ليست ذاتية التّوجّه و إنّما هي انفتاحية و قابلة -دوما- على التّدخل مع سواها من النّصوص» (الغدّامي، 2016، صفحة 90)

ختّم الغدّامي قراءته التّشريحية بطرح سؤال -عدّه خطيرا- حول خصوصية المبدع في خضمّ عمومية خطاب القصيدة، و هل يذوب المبدع -الآن- في هذا السّياق العامّ؟ لو حدث هذا يكون مصير الإبداع في خطر داهم، و سيتمّ إلغاء الشّاعر إذاء، و مسخ وجوده.

و للجواب عن هذا السّؤال استعان النّاقّد بمفاهيم "بارت" (الغدّامي، 2012، الصفحات 8-17) حول السّياق و الشّفرة، يقول: «و هذا افتراض غير صحيح، و الإشكال محلول -سلفا- بناء على التّفريق النظريّ بين السّياق و الشّفرة، فالسّياق: هو النّاتج الفنّي الكلّي لمجموع القيم الإبداعية للجنس الأدبيّ الذي نحن بصددّه، و هذا السّياق

يتكوّن من أعراف أدبية تنمو داخل هذا الجنس ممّا يميّزه عن سواه من الأجناس، بينما الشّفرة: هي الخصوصية الأسلوبية للمبدع ذاته، و العلاقة بين السّياق و الشّفرة هي علاقة أخذ و عطاء، فالمبدع يأخذ من السّياق الشعريّ القائم بين يديه، لا ليكون عالّة على هذا السّياق، و إنّما لينصهر فيه و يتوالد منه أسلوب خاصّ يضيف إلى معطيات الشّعر مثلما أخذ منها» (الغذّامي، 2016، صفحة 96)

وصل "الغذّامي" إلى نتيجة من خلال تشريحه لتلك القصائد « أنّ لكلّ شاعر من هؤلاء الخمسة خصوصية، فإنّ للصّيخان شفرة شعرية تميّزه، و يختصّ بها، كاعتماده على تداخل الإيقاع، و توظيف المصطلح الشعبي، و توظيف الحكاية، و تخيل الحدث الشعريّ» (الغذّامي، 2016، صفحة 96)

و راح بعدها يُفصّل في الخصائص الأسلوبية لكلّ شاعر من الشعراء الأربعة الباقين (الحري، الثبيتي، غيداء المنفي، خديجة العمري) (الغذّامي، 2016، صفحة 96)

دعا بعدها إلى تأسيس نهج جديد في القراءة يقوم على حالة التلقّي الجديدة، الحالة الثالّثة (الانفعال العقلي) «و هذه الخصوصيات الأسلوبية تمثّل شفرات متنوّعة في بناء سياق القصيدة الجديدة، و تؤسّس دلالات الخطاب العامّ بتفاعل بعضها مع بعض أخذاً و عطاء، وهذا هو ما يُحتّم علينا تأسيس نهج جديد في القراءة، يقوم على الانفعال العقلي، لأننا مع هذه النصوص لا نتحرّك على مستوى المعنى الأوّلي للنص، و إنّما نسير على مستويات تتجاوز ظاهر الدلالة إلى أنظمة تتضاعف و تنمو حسب قوّة النصوص المتداخلة مع النصّ المقروء» (الغذّامي، 2016، صفحة 97)

و لكي يتحقّق هذا النهج الجديد في قراءة النصّ اشترط الناقد نوعاً خاصاً من القراء «و هنا فقط تتحقّق ذاكرة الوعي الجمعي و جماعية النصّ من خلال قصائد الخطاب الشعريّ العامّ، الذي يتطلّب قارئاً مدركاً لهذا الوعي الجديد حقّ الإدراك، و لعلّ في هذا كشفاً لبعض جوانب إشكالية النصّ الجديد و مسالك تلقّيه» (الغذّامي، 2016، صفحة 100)

عرض "الغذّامي" لثلاثة أنواع من القراءات استند فيها إلى ما أخذه عن "تودوروف": و هي:

1-قراءة شرح

2-قراءة إسقاط

3-قراءة شاعرية

فقراءة الشرح فعالية قديمة جدا خدمت العلوم و المعارف الإنسانية و هي قراءة علمية تحرص على البقاء داخل حدود النّص و هدفها الإيضاح و الإفهام، و الشّارح وسيط بين النّص و القارئ و كأنّه يُمارس وظيفة تعليمية (الغذامي، الموقف من الحادثة، صفحة 106)

و قراءة الإسقاط نوع من القراءة العتيقة و التقليديّة لا تركّز على النّص و لكنّها تمرّ من فوقه متّجهة نحو المؤلّف أو المجتمع و تعامل النّص و كأنّه وثيقة لإثبات قضية شخصيّة أو اجتماعية أو تاريخية (الغذامي، الخطيئة و التكفير، صفحة 70)، لأنّ القارئ فيها يجلب إلى النّص كلّ ما في ذاته من عقد و أوهام فيسقطها على النّص، و يتشبّث بأيّ معرفة جديدة ليجعل منها ثقافة للأدب حتّى و إن كانت المعرفة غريبة، و لم تُحصّ بعد لتتّبت مصداقيتها لهذا يُسمّيها "الغذامي" مرض العصر و صرعة المتطفلين على الأدب، و هي أسوأ من قراءة الشّرح لأنّها مطيّة لكل متسلّق و طفيليّ على النّص الأدبيّ (الغذامي، الموقف من الحادثة، صفحة 107)

أمّا القراءة التي ينصحُ بها القارئ المختلف فهي النوع الثالث لقراءات "تودوروف" و هي القراءة الشاعرية، و جوهرها قراءة النّص من خلال شفرته بناء على معطيات سياقه الفنّي، حيث يكون النّص خلية حيّة تتحرّك من داخلها مندفعة بقوة لا ترد، لتكسر كلّ الحواجز بين النصوص، و لذلك فإنّ القراءة الشاعرية تسعى إلى كشف ما هو في باطن النّص، و تقرأ فيه أبعد ممّا هو في لفظه الحاضر، و هذا يجعلها أقدر على تجلية حقائق التجربة الأدبية و على إثراء معطيات اللغة كإكتساب إنسانيّ حضاريّ قديم (الغذامي، الخطيئة و التكفير، صفحة 70)

و بعبارة أخرى، هي قراءة تبحث عن البنى الكلية للنّص أو النصوص حسب تجليّها في الصياغة اللّغوية، و هذه البنى لا بدّ أن تتبع من داخل العمل الأدبي، و يجب أن تكون مصادقة لروحه، فهي وظيفة قرائية متطورة تسعى إلى تفكيك النّص إلى عناصر داخلية من أجل إعادة تركيبها، لإدراك وظائف العلاقات بين العناصر (الغذامي، الموقف من الحادثة، الصفحات 107-108)

يظهرُ التأثير البنوي في هذه القراءة، بيد أنّه عمليا يصعب التفريق بين عناصر الداخل و الخارج، فهل يعني الداخل التزام القارئ الحرفي بالدلالة النصية؟ بمعنى أنّه لا يجوز له الوصول إلى دلالة إيحائية خارج بنية النّص، و إذا فُحصت أفكار الغذامي فإنّ المستخلص منها يُخالف الطرح البنيوي الصّارم، و يقترب من الطّرح السيميائي الذي يعدّ النّص إشارات حرّة يُفكّكها القارئ و بذلك فهو يملك سلطة قويّة في إيجاد الدّالة الإيحائية المخبوءة في النّص (بخوش، صفحة 417)

يرى "الغذامي" أنّ القراءة لما هو مكتوب ليست سوى وسيلة استقبال، و هي ليست غاية في ذاتها، لأنّه سيحلّ محلها غيرها لأداء المهمة، و هذا ما جعل "المعري" و "طه حسين" و من قبله "امرؤ القيس" يملكون ثقافة

راقية مع فقدانهم لوسيلة القراءة (المكتوب) مما يعني أن القراءة الكتابية هي مجرد صيغة من صيغ التفاعل (الغذامي، اليد و اللسان، صفحة 17)

إنّ القارئ الذي يُريده "الغذامي" هو صاحب الذّوق السّليم المسلّح بأدوات منهجية معيّنة، كمفاهيم الصّوتيم و العلاقة و اعتبارية الإشارة و الاختلاف و الأثر و النّصوص المتداخلة و السّياق و الشّفرة و الشّاعرية، و هي تصوّرات نظرية قويّة الإشعاع و ثاقبة الرّؤية، ممّا يُعين القارئ الواعي على مواجهة النّصّ كمواجهة الفارس الحصان الأصيل (الغذامي، الخطيئة و التكفير، صفحة 79)

إنّ لهذا القارئ دورا مهما كثيرا ما أغفل، رغم أنّ الحقيقة البيّنة هي أنّه لا نصّ دون قارئ، فالنّصّ وجود عائم، و لولا القارئ لم يكن للنّصّ قيمة، فالأهميّة تتجلّى فيما يوليه القارئ للنّصّ، بشرط أن يستجيب النّصّ لهذه الأهميّة التي يُحاول القارئ أن يسبغها عليه (الغذامي، الموقف من الحداثة، صفحة 72)

و يُوكّد "الغذامي" على قيمة القارئ، و الذي يرى فيه أنّه لم يعد مجرد متلقّ، لأنّه لم يعد يقبلُ دورا آليا في النّصّ، و لكنّه يمثلُ حصيلة ثقافية و اجتماعية و نفسية تتلاقى مع كاتب هو مثلها في مزاج تكوينه الحضاريّ الشّموليّ (الغذامي، الخطيئة و التكفير، صفحة 73)

لقد أراد "الغذامي" و هو قارئ حفيف، أن يكون ذلك القارئ الذي يمدّ النّصّ بكلّ أسباب الحياة معتقدا أنّه هو المنطلق و المآب، و أنّه فضاء رحيب و غور عميق، و أنّ الكلمة فيه موحية لا منبئة و أنّ أثره في سحره (آخرون، صفحة 413) و يبدو أنّ "الغذامي" استطاع بفضل كثير من ممارساته التّقديّة الحداثيّة و ما بعد الحداثيّة... أن يُجسّد دور هذا القارئ.

6. خاتمة:

مما سبق يمكن استخلاص بعض النّتائج كإجابات لما طرح من أسئلة منها: أعادت كلّ من التّفكيكية و نظرية القراءة و التّلقيّ الاهتمام بالقارئ بعد أن أهملته المناهج السّياقية، و هي نقطة الالتقاء بين الاثنين، و في إطار ممارسته للنّقد الثّقافي لم يستطع "الغذامي" الخروج إجمالا من عباءة النّقد الأدبي، و اعتمد على نظرية من نظريات النّقد الأدبي الحديث و هي "نظرية القراءة و التّلقيّ" و هو ما ظهر في كتابه "تّشريح النّصّ"

تُوجزُ حالات التّلقيّ عند "الغذامي" في ثلاث حالات منها حالتان مألوفتان و هما: حالة الإقناع /و حالة الانفعال /ثمّ الحالة التي ابتكرها "الغذامي" و هي: حالة الانفعال العقلي، و لقد دعا "الغذامي" إلى تأسيس نهج جديد في

القراءة، يقوم على حالة التّلقي الجديدة، الحالة الثّالثة (الانفعال العقلي)، و هي حالة وجدَ فيها "الغذّامي" ما يلائمُ المنهج التّسريحي الذي اختاره لقراءة النّصوص الشعريّة الواردة في متن البحث. تأكيد الغدّامي على أهمية القارئ في صناعة معنى النّص، هي إشارة قديمة تعود جذورها إلى القرن الثّاسع عشر و ترتبط بـ "لورنس ستيرن"، و لكي يكون قارئاً مختلفاً اختار له "الغذّامي" من قراءات "تودوروف" القراءة الشّاعريّة و قد ظهر أنّها تنطلق من أسس بنيويّة و تخبئ وراءها طرْحاً سيميائياً.

7. قائمة المراجع:

المؤلفات العربيّة:

- 1- الغدّامي عبد الله، النّقد الثّقافي (قراءة في الأنساق الثّقافيّة العربيّة)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط6، 2014م.
 - 2- الغدّامي عبد الله، تشرّيح النّص (مقاربات تشرّحية لنصوص شعريّة معاصرة)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط3، 2016م.
 - 3- الغدّامي عبد الله، الخطيئة و التّكفير (من البنيويّة إلى التّشريحية، نظريّة و تطبيق)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط7، 2012م.
 - 4- الغدّامي عبد الله، اليد و اللّسان، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012 م.
 - 5- الغدّامي عبد الله، الموقف من الحداثّة، دار الأرض، الرياض، السّعودية، ط2، 1412هـ - 1991م.
 - 6- أوستن وارين، رينيه ويليّك، نظريّة الأدب، تر: محي الدّين صبحي.
 - 7- روبرت هولب، نظريّة الاستقبال (مقدّمة نقدية)، تر: عبد الجليل جواد، ط1، دار الحوار للنّشر و التوزيع اللاذقية، 1992م.
 - 8- عبد الله إبراهيم، التّلقي و السّياقات الثّقافيّة (بحث في تأويل الظّاهرة الأدبيّة)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2000م.
- ### المؤلفات الأجنبيّة:

.voir, Wolfgang Iser, 1985, L'act de lecture, Margada, Bruxelles

رسائل الدّكتوراه:

علي بخوش، مشروع القارئ في الفكر النقدي العربي "عبد الله الغدّامي أمّودجاً"، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصص النقد الأدبي، جامعة محمد خيضر-بسكرة، كليّة الآداب و اللغات، قسم الآداب و اللغة العربيّة، 1435هـ - 2014م.

- 1- بن عامر بويكر، إبراهيم عبد النور، غموض المعنى الشعري و توجيه فعل القراءة، مجلّة إشكالات، ع1 (للاستزادة في الموضوع انظر مقالنا)، 2018م.
- 2- حكيم دهيمي، العايش عبد العزيز، نظرية القراءة و التلقي، بحث في المرجع و في مفهوم القارئ، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة، ع/20، نوفمبر 2010م.
- 3- خالد علي مصطفى، ربي عبد الرضا عبد الرزاق، مفهومات نظرية القراءة و التلقي، مجلّة ديالى ، ع/ 69، ص 158، 2016 م
- 4- لوبار عبد السلام، فواعل بناء المعنى في النصّ الأدبيّ من المؤلّف إلى القارئ، مجلّة القارئ للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية جامعة البلدة، الجزائر، م/04ع/2 ، ص 29، جوان 2021م.
- 5- نصير فاطمة، نظرية القراءة بين هانز روبرتياوس و فولغانغ أيزر -مقاربة للمفاهيم و المرجعيات و الآليات-، مجلّة اللغة العربية و آدابها، ع/08، ص 161، 2014م.
- 6- عبد الكريم، درويش، فاعلية القارئ في إنتاج النصّ "المرايا اللامتناهية"، مجلة الكرمل، 2010/04/24م.